الحلقة السابعة عشر

(1) (علي باشا.. شمس الدنيا مريضة في فراشها)

علي باشا: أين شهربان والأولاد؟

شمس الدنيا: (باكية) سافرت الى حلب ومعها الأولاد، تريد أن تقيم في السجن مع مراد هي وأولادها! هذا كان ردّها على السلطان عبد العزيز حين علمت بالأمر..

علي باشا: يا لها من امرأة عنيدة! أنّى لها المال؟

شمس الدنيا: باعت مصاغها.. وذهبت الى زوجها.. لم أستطع ردها.. هكذا ربيتها ياعلي فانظر ما جنته يداك! لن تطول حياتي بعد غياب شهربان وأولادها عني يا علي.. حين غادرت البيت أصابتني نوبة قلبية نجوت منها، وعادني الدكتور رأفت صديق مراد، فرجاني أن لا أنفعل.. كيف لي أن لا أنفعل يا علي وقد غادرتني ابنتي الوحيدة الى المجهول والخطر ومعها أحبائي الصغار؟

علي باشا: أسلمي أمرها لله! فلعل الخير يكمن لها في رحيلها الى هناك.. لقد وفقني الله وأبرمت صفقة شراء أسلحة لا يحلم بها مولانا السلطان.. وسأذهب اليه على الفور وأطلب منه العفو عن مراد.. وسيستجيب هذه المرة لطلبي، ولن يكافئني لما أنجزت من عمل، بالإساءة الى صهري وابنتي الوحيدة وأطفالها الصغار!

(2) (قصر السلطان عبد العزيز.. علي باشا يخبر السلطان عن انجازات رحلته)

عبد العزيز: بارك الله فيك يا علي.. سأرفعك الى رتبة فريق، هذه الرتبة التي لم يحظ بها أحد قبلك الاّ في مصر!

علي باشا: يكفيني يا مولانا رضاك عني.. لا أطلب شيئا لنفسي الاّ أن أخدم هذا الوطن الغالي وأحميه من أعدائه المتربصين به!

عبد العزيز: لا بد من مكافأتك.. غدا أصدر مرسوما يرفعك الى رتبة فريق!

علي باشا: لي رجاء عندك يكون المكافأة الكبرى لي.. أن ترد الإعتبار الى صهري الأمير مراد.. لقد تأكد لك براءته من المؤامرة على القصر التي كان متهما بها.. معاذ الله أن يتورط مراد في أمر كهذا ويعلم الله، أنه كان الأخلص والأوفى لك من كل الحاشية التي تحيط بك، وليس انتسابه لحركة "الحرية والإئتلاف" بالجرم الذي يؤاخذ عليه! لأن الحركة كانت موجودة منذ زمن عبد المجيد، ولم يكن يدري حينذاك

بأنها ستتورط في مؤامرتها على القصر.. فما كان ركنا بارزا فيها، ولا مشاركا في اتخاذ قراراتها! لقد عدت من ألمانيا لأجد بيتي قد انهار.. ابنتي الوحيدة شهربان حملت أولادها الأربعة وأكبرهم في التاسعة وأصغرهم ابن أشهر لا يعرفه أبوه وسافرت الى حلب تريد أن تسجن هي وأولادها مع زوجها.. ووجدت زوجتي وقد أصيبت بجلطة قلبية اثر مغادرة ابنتها الوحيدة وأولادها.. ولكن الله أنجاها، وهي تبكي فراق ابنتها وتنفعل مما يعجل هذا الشجو والحزن في شفائها، وتجاوزها الخطر من نوبة أخرى تعجل بها..

عبد العزيز: من أجلك يا علي باشا سأعفو عن مراد على شرط أن ينسحب من هذه الحركة التي تؤدي الى الفتن في الولايات بتحريض من الأجانب الذين يريدون تمزيق دولتنا..

علي باشا: هذا ما أراه أنا الآخر، فأنا أومن بتجربتي الخاصة أن مركزية الدولة العلية ضرورية، وأن مثل هذه الدعوات قد تنقلب الى تطرف قومي كالذي جرى في مصر.. (السلطان يطلب رئيس القلم ليرسل تلغرافا الى مدير سجن حلب.. الى علي باشا)

عبد العزيز: ان فحوى التلغراف أن يفرج عن الأمير مراد، وينزله وأسرته في قصر الضيافة في حلب ريثما يتدبر أمر سكناه وإقامته..

(3) (شهربان تنزل من القطار الذي يصل بيروت بحلب.. هي وأولادها في المحطة)

شهربان: (تخاطب أولادها وهي تحمل عليا، والحقائب أمامها) انتبهوا الى ما أقوله لكم.. لن يأتي والدكم لاستقبالنا لأنني لم أخبره بمجيئنا، بل نحن الذين سنفاجئه بقدومنا.. أريدكم أن تكونوا شجعانا يا أولادي كوالدكم وجدكم.. ان جدكم لم يحصل على كل الأوسمة والنياشين التي كنتم تلعبون بها في القصر، الاّ لأعمال باهرة قام بها .. فهي لا تمنح الاّ للصادقين المخلصين في خدمة الدولة العلية والملة السمحاء.. ووالدكم لا يقل إخلاصا للعرش لأن السلطان رمز للأمة كلها ولكل الولايات التي يحميها..

عثمان: لماذا أوقفوا أبي ونفوه الى حلب؟ انني لا أحب السكنى في حلب، بل أريد العيش في استنبول حيث مدرستي وأصحابي وحيث الحصان الذي أتدرب عليه، وقصر جدي الذي أعيش فيه..

شهربان: انني أعتمد عليك في فهم ما يجري لوالدك.. ان والدك ينتمي الى حركة تطالب باستقلال الولايات في شؤونها الداخلية وبقاءها في حماية الدولة العلية.. وهي حركة معروفة قبل أن يقوم بعض المتهورين

في الحركة بمحاولة انقلاب في القصر.. واتهم والدك بالمشاركة في هذه المؤامرة ولكن ظهرت براءته.. ولقد نفي الى حلب بسبب انتمائه للحركة وليس لأنه شريك في المؤامرة.. أبعد لأن السلطان لايزال مذعورا من الحركة التي كان هدفها خلعه عن العرش.. انه موقوف الآن حذرا من ردة فعل مضادة للقصر..
عثمان: أي أنه سجين! (الى مصطفى) ألم أقل لك أنهم يأخذون والدي الى سجن حلب؟ (سليمان يبكي)
شهربان: أنا نفسي لم أكن أعرف ذلك يا عثمان ولم أكذب عليكم، فلما عرفت بالأمر على حقيقته قررت أن نشاركه جميعنا في وحدته.. فهل كنت مخطئة؟
عثمان: لا يا أمي.. ان وجودنا معا يكفينا!
(4) (سجن حلب.. مراد في زنزانة.. يدخل حارس)
الحارس: هناك زوار لك في غرفة المدير، ولقد سمح لك المدير برؤيتهم!
مراد: (لنفسه) لعلهم بعض رفاقي في استنبول من الإداريين والعسكريين المرسلين الى حلب.. (تأخذه المفاجأة بمزيج من الذعر والفرح حين يرى زوجته وأولاده)
مراد: ماهذه المسرحية يا شهربان؟ أتغامرين بنفسك والصغار وتأتين الى حلب؟ من أوصلك؟ من أشار...
شهربان: جئت وحدي ولم يشر علي أحد! (الصغار يحيطون به ويقبلون يديه فيقبلهم) جئنا لنؤنس وحشة سجنك!
مراد: ما هذا الكلام؟ أتحسبين السجن غرفة في قصر؟
شهربان: مهما تكن، لسنا أفضل منك..
مراد: لا حول ولا قوة الاّ بالله.. تزيدوني هما فوق همي!
شهربان: هل أنت غاضب؟
مراد: وفي أشد الغضب!
(يصل تلغراف لمدير السجن.. يرن الجرس.. يذهب الى الجهاز.. يقرأ الرسالة التلغرافية.. تستبشر ملامحه.. الى مراد)
"صدر أمر من مولانا بالعفو عنك، وستنقل فورا أنت وأسرتك الى قصر الضيافة.. فأنتم في دار الضيافة عندنا مدة شهر ريثما تدبرون إقامتكم وسكناكم!" (فرح عام.. يحضر الحارس بذلة مراد الرسمية التي جاء بها ليستبدل ثيابه.. شهربان تضم أولادها وتقول "أرأيتم كيف استجاب الله لصلواتكم؟" الى المدير)

شهربان: أتسمح من فضلك بإخلاء المكان لي لأرضع الصغير؟ (يخرج باسما.. يدخل مراد بثيابه الرسمية.. يشاهد شهربان ترضع عليا.. يكبّ على الطفل ويقبله.. شهربان تمسح على شعر مراد وتقبله)

* * *